

الخط التيفيناغي وعلاقته بجنوب شبه الجزيرة العربية

The Tifinagh script and its relation to southern Arabia

سميحة فايزة *

جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

Fayza.semicha@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: ...18/114/2025 تاريخ القبول: ..03/02/2026

● الملخص:

تشير الدراسات اللسانية والأثرية إلى أن التيفيناغ ينتمي إلى العائلة الفينيقية-البونية التي انتشرت في حوض البحر المتوسط، غير أن بعض الباحثين يفترضون وجود صلات أو تأثيرات متبادلة مع أنماط الكتابة في جنوب شبه الجزيرة العربية مثل الخط المسندي، هذه الفرضية التي قامت على عدة عناصر منها، التشابه الكلي بين بعض الحروف، وحقيقة التواصل التجاري- البحري بين الأمازيغ وسكان جنوب شبه الجزيرة العربية على وجه الخصوص، عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي، وعلى الرغم من غياب الأدلة القطعية فإن مقارنة الكتابة التيفيناغية بنقوش المسند الجنوبي تبرز نقاط التقاء لا يمكن إغفالها، سواء في الجوانب الشكلية أو في الوظائف الاستعمالية للخط، وهذا ما يؤكد أن شمال إفريقيا وشرقه لم يكن معزولا عن ديناميات التبادل الثقافي والتجاري للعالم القديم.

كلمات مفتاحية: الخط التيفيناغي، المسند، ظفار، الصحراء الكبرى، جنوب شبه الجزيرة العربية، الدراسات الأثرية ...

Abstract:

Linguistic and archaeological studies indicate that Tifinagh belongs to the Phoenician-Punic family that spread in the Mediterranean basin. However, some researchers assume the existence of links or mutual influences with writing styles in southern Arabia, such as the Musnad script. This hypothesis is based on several elements, including: the overall similarity between some letters, and the fact of commercial-maritime communication between the Berbers and the inhabitants of southern Arabia in particular, via the Red Sea and the Indian Ocea, Despite the lack of conclusive evidence, comparing Tifinagh script with South Arabian Musnad inscriptions reveals undeniable points of convergence, both in terms of form and function. This confirms that North Africa was not isolated from the dynamics of cultural and commercial exchange in the ancient world.

Keywords:

Tifinagh script, Musnad, Tufar, Sahara, South Arabian Peninsula, archaeological studies

● مقدمة:

لطالما كانت اللغة والكتابة وسيلة للإنسانية استعملت ولا زالت لتوصيل الأفكار والرغبات وحتى الانفعالات عن طريق نظام من الرموز، أو كما عرفها علماء اللغة، أنها النظام الذي يُتم الرموز الصوتية لتسهيل التواصل بين الأفراد ومنطقة شمال إفريقيا وصحرائها، لم تخرج عن هذا السياق، بل بحسب الدراسات الأثرية والأبحاث التاريخية، كانت السبابة لهذا النشاط الكتابي والصوتي، منذ فترة سحيقة تعود إلى أكثر من 3000 قبل الميلاد، أين وُجدت آثاره مترامية من شمال إفريقيا لجنوبها، اصطلاح عليه "بالخط الليبي الأمازيغي" في الشمال وبخط "التيفيناغ" في الجنوب على وجه التحديد، لكن تحت لواء اللغة الأمازيغية، وإن كانت حقيقة وعراقة هذا الخط ولغته لا يختلف عليها اثنان، فإن المعضلة تتمحور حول أصوله وبداياته، ناهيك عن سببية انتشاره في الصحراء الكبرى، مما جعل بعض المختصين يرون أنه خاصية صحراوية بامتياز، وانتشر رويدا إلى الشمال، وهذا للتشابه الكبير والمتطابق أحيانا بين نقوش خط التيفيناغ المنتشرة من إقليم فزان بليبيا، لصحراء الجزائر ومالي والنيجر وتشاد وبوركينا فاسو وحتى أجزاء من موريتانيا، وأجزاء من صحراء تونس، وحتى جنوب شبه الجزيرة العربية، ومن هنا تنطلق إشكالية الدراسة، حول سببية التشابه وماهية العلاقة في هذا الحيز الجغرافي بالتحديد؟ وهل يمكن القول أن هذا مرده أسباب عرقية؟ أم في إطار القرب الجغرافي والتلاقي الحضاري؟ لهذا سنحاول تبيان الأمر من خلال مقارنة ومقارنة المعطيات الأثرية والبحوث التاريخية.

1. السياق التاريخي للخط التيفيناغي:

قبل التنويه لمسألة أصول الخط التيفيناغي وعلاقته باللغة المازيغية مع تحديد معنى هذا المصطلح التاريخي الذي لا زال يثير اهتمام الباحثين الأجانب والمحليين - على حد سواء -، فإن كلمة تيفيناغ هي جمع مؤنث لكلمة "Tafing" وتعني الخط أو العلامة وأنها مركبة من كلمتين هي: **Thifin** - "تيفين"، بمعنى اكتشاف و **Anag**. "آناغ"، بمعنى ملكنا نحن، ودلالة للكلمة ككل تعني "اكتشافنا"، وكأنها إشارة أن أمازيغ المنطقة أرادوا التمييز بهذا الخط في ظل تعاقب الأجناس وتوافدها على شمال إفريقيا وجنوبها، مع ذلك يبقى الاختلاف دائما حول أصوله التي يُرجعها البعض على أنها فينيقية، وهذا بحسب كتابات "سالم شاكّر" على سبيل المثال، وأن الكلمة مأخوذة من (فَ- نَ- ق) و(ف- ي- ن- ي- ق) ووقع التغير فقط بين حرف القاف والغين، بدليل أن النقوش التي عثر عليها شمال إفريقيا هي كتابة متطورة عن الفينيقية، والتي تعرف بالبنوقية¹، إلا أن في هذا الطرح إجحاف في تاريخية وعراقة الخط الأمازيغي بدليل نقيشه "مسسن" التي عثر عليها في تونس عام 1904 المكتوب باللغتين الفينيقية واللوية، (أنظر الملحق رقم 01)، وأن اسمه الصحيح فيها بحسب النقيشة هو "مسن سنهم" بالشد على السين في الكلمة الثانية وهذا ما ذكره بمجت القبيسي في الجزء الثاني من كتابه عن الجزائر في التاريخ و بحسب قوله هي صيغة آرامية تعني "مسن المسنين"، وهي دلالة تعبيرية تعني شيخ الشيوخ وحكيم الحكماء، وفي ذات السياق يذكر مختار الغوث أن بعض الباحثين يرون أنه من الصحة القول أن خط التيفيناغ لم تكن له علاقة بالملوك النوميديين وأن صورته الحالية وصلت إلينا عن طريق طوارق الهقار وأنه خاص بهم دون أمازيغ الشمال، وأن السبب في عدم تتبع تاريخية الخط في شمال إفريقيا وتطوره هو أن روما أحرقت أرشيف نوميديا و نخب أهمه، لهذا تعذر علينا التحقيق في ها الصدد، وأن لا شيء يثبت علاقة التيفيناغ الحالية بالنقوش اللوية القديمة، وأن الفرق بينهما واضح، والمدة الزمنية بينهما طويلة، و يضيف قائلا أن التيفيناغ قد يكون هو النموذج الذي نسبته ابن النديم إلى الحبشة، بدليل أن حروفه متصلة مثل حروف الخط الحميري، وأنه تطور باجتهاد مع الوقت على مستوى الكهوف والمغارات عند

طوارق الجزائر و النيجر ، و أن الأمازيغي في الشمال كان إذا كتب على شواهد القبور أو نقيشات أخرى ، استخدم البونيقية في عهد الملوك النوميديين و المورين ، و اللاتينية في عهد أبوليوس و أوغسطين .²

و كطرح منطقي لفض هذا السجال يرى محمد مختار العرباوي أن أول كتابة ظهرت في غرب حوض البحر المتوسط هي الكتابة الفينيقية ومنها أخذت الكتابة اليونانية واللاتينية ، و هذه الأصناف من الكتابة كانت طيلة مسارهم التاريخي ، إلا أنها لم تكن الأصلية ، بل كانوا يستخدمون نط آخر من الكتابة يُصطلح عليها بالخط الأمازيغي اليوم الذي يتألف من نوعين ، هما الخط اللوي الذي اكتشف نماذج منه في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، و التيفيناغي الذي كان أشبه بالرموز السرية التي استخدمت في الحياة اليومية كنوع خاص من التواصل ، ونحن بدورنا نشتم هذا الطرح و لا ننكر وجود الخط البونيقية ، إلا أن هذا الأخير كان وسيلة لتسهيل التواصل بين الفينيقيين والمزيغ المحليين ، وما حدث أن الخط اللبي- المازيغي بدأ يختفي لأن المنطقة تعرضت لإمتزاج حضاري قوي من الفينيقيين خاصة بعد تشكل المجتمع القرطاجي ، وحركية التجارة التي جلبت الإغريقين والقرصيين والصقليين ، ثم التواجد الروماني الذي فرض كتابته اللاتينية ، فأضحت ثقافتنا شفوية للأسف لعقود طويلة ، مع ذلك بقيت محاولات لسمود هذا الخط في وجه سياسة الرومنة ، من خلال ما تم العثور عليه في أنصاب جنائزية وأخرى نذرية وتذكارية على مستوى معبد الحفرة خاصة بقسنطينة ، مع هذا لازال عصيا على الأثري والتاريخي تتبع تاريخية مسار الخط المازيغي في الشمال للأسباب التي أوردناها.

لكن العكس ما حدث في الصحراء ، أين حافظ سكانها على الخط المحلي ولغته وثقافتهم عامة ، وهذا لأن المنطقة الصحراوية كانت معزولة عن التأثيرات الحضارية الخارجية ، ونقوش خط التيفيناغ المنتشرة عبر الصحراء الكبرى حتى صحراء سيوة المصرية دليل كاف على تاريخيته ، حتى أن البعض يرى أن هذا النشاط الكتابي هو خاصية صحراوية بامتياز وأنه الأقدم مقارنة بالشمال ، بدليل أن كلمة تيفيناغ مأخوذة من كلمة (أ- ف- ن- ي- ق) والتي تعني النقش على الصخر الرملي³ ، في حين يرى البعض أن هذا المصطلح معناه في اللغة الليبية القديمة ، الصندوق الذي تحمله العروس ليلة زفافها ، و أن وجود فعل "إفغ" يعني "أكتب" و المقصود هنا كتب على التراب أو على الأرض في لغة الطوارق ، و وجود الجذر "ف.ن.غ" أو "ف.ن.ق" يرجح الأصل التارقي للكلمة ، أما عن أصل اشتقاق الكلمة قد تكون فينيقية كما ذهب البعض وأن الفينيقيين أصلا جاءوا من شبه الجزيرة العربية ، وأدلتهم على هذا أن أكبر مدن الفينيقيين في لبنان مثل صور ، موجود اسمها في عُمان المطلة على البحر الأحمر وأن حروفا مطابقة لحروف التيفيناغ موجودة على صخورها و صحاريها ، وبحضرنا هنا ما ذكره هيرودوت أن الكنعانيين -الفينيقيين مهاجرون في الأصل و بلغوا حتى أريتيريا، وأن الطوارق الذين يُنسب إليهم التيفيناغ فينيقيون سماهم هو و ديودور الصقلي "الناسامون" وأن الكلمة مأخوذة من "ناس أمون" المشتقة من "ناس عمون" والأرجح أنه منسوب إلى مدينة عمون⁴ ، ومعناها أن العمونيون كنعانيون ، و ما يستدل به أيضا طول قامات الطوارق و قوتهم وهو ذات الوصف الذي ورد عن الكنعانيين في الكتب المقدسة القديمة ، مثل ما ذكر في سفر العدد بالتوراة⁵ ، أما ما ذهب إليه محمد عابد الجابري أن التيفيناغ يدرج ضمن الفينيقيات ، فالفق كثر ما تُقلب غينا، وهذا ما كان شائعا في اليمن و عُمان و السودان و الصحراء الكبرى و أن الصيغة البربرية -كما أسماها هو - أنها اسم مؤنث بصيغة الجمع ، مفردة تفنيقت على حد تعبيرهم⁶ ، وإن كان أفضل استخدام مصطلح الأمازيغية هنا و ليس البربرية ، لأن مصطلح البربر يُصنف ضمن ما يعرف بـ "exonyme" و هو اسم وصفي خارجي ومحدود لفترة زمنية معينة استخدمه

² مختار الغوث، الصراع اللغوي في المغرب العربي ، الجزء 2، دار صوفيا ، الكويت، الطبعة الأولى ، 2023 ، ص، 529

³ (wikipedia)، Brill, Encyclopedia of islam/ EIEO, entry on tiffinagh, INALCO

⁴ مختار الغوث، المرجع السابق ، ص، 532، 533

⁵ الكتاب المقدس، سفر العدد 13: 28

⁶ محمد علي الجابري، حفريات في الذاكرة ، ص، 234

الإغريق أولاً في وصف الشعوب الغير ناطقة باليونانية ثم الرومان في بداية الأمر ، ليحمل في طياته فيما بعد معنى الوحشية والهمجية بدليل من المصادر اللاتينية ، في حين أن كلمة مازيغ تُدرج ضمن مصطلح **endonym** "يعني ذاتي و إثني مرتبط بالثقافة و الانتماء القبلي بدليل أيضا من المصادر اللاتينية في عبارة مترجمة مفادها أن المازيكس من الأهالي و أشارت بعبارة **Mazices genties** "و التي تعني السكان الأصليون . وبالعودة للحديث عن أصل الخط التيفيناغي ، ذكر كبار المهتمين بهذه الدراسة من الفرنسيين أمثال كروني باسييه و كامبس، أنها مشتقة من "ف.ن.غ" من أصل كلمة "ف.ن.ق" وأن القاف و الغين تتعاقبان في اللغة -البربرية- واللغات العربية القديمة ، لا سيما منها جنوب شبه الجزيرة العربية ، في حين يرى هانوتو أن تسمية "تيفيناغ" تبين أن أصله فينيقي ، وهذا ما نفس ما ذكرته مليكة حشيد أنه من الممكن أن تكون "تيفيناغ" جمع "تافنيقت" مع أن معناها غير واضح هنا ⁷ ، كما يرى البعض الآخر أن مؤنث "فينيقي" في الليبية القديمة من الممكن أن تكون مشتقة من الفينيقية ، و أن الرأي الشائع عند الكثير من الباحثين أن هجاء الطوارق مستعار من الهجاء الفينيقي ، و أن لغتهم يسمونها التيفيناغية ونصف حروفها فينيقية و هذا ما ذهب إليه جوزيف هاليفي و مجموعة من الباحثين أمثال أوريك بارت ، مع هذا لازالت بعض الدراسات ترى أن أصل الخط غير دقيق، لأنه وجدت نماذج منه في مصر وبمنطقة طفار وجنوب شبه الجزيرة العربية ⁸، وحتى على جدار هرم خوفو، لهذا افترضوا أن أصوله لها علاقة بالكتابة الهيروغليفية ، ومصدر هذه الدراسة انجليزي، أين قاموا بدراسة حول الميتولوجيا والرموز القديمة، فعثروا على نموذج من خط التيفيناغ على جدار هرم خوفو ⁹ . (أنظر الملحق رقم 02)،

وهذا الدليل الأثري يقودنا إلى كتابة المؤرخ الهاليكارنوسي "هيرودوت" الذي زار مصر في عام 445 ق. م، وتحدث لنا عن قبائل التمحو والمشوش والتحنو والمشوش، وهم قبائل الليبو الذين كان لهم مكائنتهم في المجتمع المصري القديم ، كما تحدث عن أمازيغ سيوة، ووصف لنا رحلته هناك، وعن سكانها الذي قال أنهم جرمانيون (قبائل جرمة) التي سكنت إقليم ليبيا وجزءا من صحراء الجزائر، في القسم الذي يُعرف بإقليم "أزجر" ووصفهم لنا يطابق ما وجد على النقوش الصخرية في الطاسيلي وأهقار، كما قال أنهم كانوا معروفين بعرباتهم التي تجرها الخيول في إطار تعزيز نشاطهم التجاري ¹⁰، لكن تبقى نظرية وجود خط التيفيناغ على جدران هرم خوفو تحتاج لتدقيق ، مع الجزم طبعا بحقيقة علاقة قبائل التمحو والمشوش بتاريخ مصر القديم .

إلا أن الأمر لا يقف هنا بل يصل إلى شبه الجزيرة العربية بالتحديد في سلطنة عُمان اليوم (طفار) واليمن، إذ وجدت بعض الإشارات لتشابه كبير بين الخط التيفيناغي والمسنند اليمني والتمودي والخط الشحري الطفاري، والسبب أن جنوب شبه الجزيرة العربية كانت على علاقات تجارية بافريقيا عن طريق باب المندب (الحالي) وصولا إلى السودان وتشاد والنيجر ومالي وأجزاء من صحراء ليبيا والجزائر، والمعروف حسب النقوش أن الطوارق، كانوا يسيطرون على الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى وهي نقطة الوصل الأولى بينهم ،لهذا نجد أن نقوش خط التيفيناغ انتشرت في هذا الحيز الجغرافي بالتحديد، فالمجتمع الصحراوي القديم عُرف بمزاولة للتجارة التي كانت من نصيب طبقة إسم "أمينوكال" وطبقة "الحراطين" الذين كانوا يعملون بالبحال الزراعي، و شمل هذا النشاط صحراء فزان بليبيا ، ليمتد إلى تشاد ومالي والنيجر وإقليم جنوب صحراء الجزائر، بما فيها صحراء سيوة .

و بالحديث عن الطوارق " التوارق" فإن الكلمة مأخوذة من كلمة "تاركا" أو "تارجا" والتي تعني الأرض الغنية بالمنايع المياه و هناك دراسة جيولوجية أكدت على هذا ،إضافة الى مشاهد من النقوش الصخرية التي توحى بتوفر كمية لا بأس بها من المياه ، وما تجدر الاشارة إليه أن الطوارق

⁷مليكة حشيد ، الأمازيغ و البربر: التسمية والأصول ، ص، 186

⁸British Museum, written in stone, the libyco-berbere script, para 1,3

⁹ <http://www.joseluispejo.com/index.php/hideden-history/350>

¹⁰ Herodotus, the histories, book IV, 168 ، أنظر أيضا، هيرودوت ، التواريخ ، تر، عبد الإله الملاح، بيروت ، 2001

أنفسهم لا يطلقون على أنفسهم هذا الاسم، بل يعرفون بـ"الإيموهاغ" بالنسبة لأمازيغ ليبيا والجزائر والتي تعني الرجال الشرفاء، وكلمة "إيموهاغ" بالنسبة لأمازيغ مالي، و"إيماجغن" بالنسبة لأمازيغ النيجر، واليوم الاسم الشائع هو "تماشيق" وهي اللغة الرسمية للبلاد، وبحسب اللغوي محمد شفيق الغري، أنه لا يوجد اختلاف كبير بين لهجات أمازيغ الطوارق إلا في بعض الحروف كقلب "ذ/ش" أو "غ/ق" وهذا بحسب الوسط والتأثير، ضف إلى ذلك مقارنة الخط التيفيناغي بينهم، مما يدل على العلاقة الواضحة بينهم ناهيك عن التشابهات الثقافية كالعادات واللباس، وأن هذا التوافق العريق يعود إلى 300 سنة ق. م، إلا أن الملفت للإنتباه هو وجود هذا التشابه في الكتابة بمنطقة ظفار و اليمن كما سبق التنويه سلفا، لهذا جاءت هذه الدراسة ساعية إلى مناقشة العلاقة بين الكتابة الظفارية والتيفيناغية في ضوء المعطيات الأثرية والدراسات المقارنة، مع تحليل الأصول اللغوية والبنية الرمزية والانتشار الجغرافي لكلا نظام الخطين، في حين نكون بعيدين كل البعد عن الدراسة المتعلقة بالجانب العرقي، كوننا سنسلط الضوء على مسألة التواصل الحضاري بين جنوب شبه الجزيرة العربية و إفريقيا في فترات ما قبل التاريخ وما بعدها، وهو ما تدعمه دلائل أثرية وتاريخية في العقود الأخيرة.

لكن قبل الخوض في ماهية الكتابتين وما يتعلق بأوجه الشبه والاختلاف بينهما، أردت أن أعرض مفاهيم دقيقة حول مصطلح العرب، حتى نؤكد على أن الحديث عن مسار الخط والكتابة التاريخي، و ان كان له علاقة بشبه الجزيرة العربية بطريقة أو بأخرى فإنه لا يعكس بالضرورة انتماءات عرقية لفئة أو منطقة معينة، وهذا دليل ما سنعرضه حول تحديد مفهوم العرب من خلال ما طرحته الدراسات المختصة في علم اللسان واللغة، وبالتالي نكون قد جردنا دراستنا هذه من أي اتجاهات عرقية حتى تأخذ هذه الورقة البحثية طريق الموضوعية.

2. مفهوم مصطلح "عرب":

يتفق عدد من الباحثين العرب خاصة أن نواة الاسم المذكور أعلاه مشتقة من "عربي، عرابا، عرابايا" أو "أرابا، أرابايا" والتي وردت في مدونات ونقوش قديمة، منها ما يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وأن دلالة المعنى تعني البادية وسكانها، وذات الدلالة جاء بها النص القرآني في مواضع عدة تحت مسمى "الأعراب" مثل ما ورد في سورة التوبة في الآية العشرين، وفي لسان العرب لابن منظور في حديثه عن الباء مع العين، يقول أن الأعراب تعني أصحاب النجعة الذين يرتادون الكلام ويتبعون مساقط الغيث وأن الكلمة لها علاقة بالماء الكثير، أو عن الإكثار من شرب الماء (التعريب)¹¹، في حين يقول جواد علي أن أول نص آشوري ذكر كلمة عربي "أربي" في نقش شلمنصر الثالث الآشوري (860-825 ق. م)، ويمكن أن الكلمة أُلقت على قوم أو بلاد أو مدينة، أما في البابلية فكلمة "ماتورآي" يقصد بها الأعراب والبادية¹²، أما ما ذكره بهستون عن داريوس - نقلا عن- عبد الله الشحري¹³، فإن كلمة "أراباية" في النصوص الفارسية الإخمينية لها نفس المعنى، وعليه فإن البابليون والآشوريون والفارسيون قصدوا بالمصطلح البادية الواقعة غرب نهر الفرات والممتد إلى تخوم الشام، وحتى في سفر إشعيا، بالكتاب المقدس¹⁴، فإن كلمة أعراب يُقصد بها البداوة، لتأتي كلمة "بيت عراباية" عند الأراميين ومعناها أرض العرب، أما النصوص العربية الجنوبية فقد وردت فيها لفظة "أعرب" و"أعراب" فيما بعد، ولم يقصد بها المفهوم الحالي وهو العرب بدو أو حضر، في حين كانت النصوص الجنوبية تُلحقها بأسماء ملوكهم مثل "أعرب- ملك سبأ" "أعرب ملك حضر موت" أي "بمعنى بدو سبأ، بدو حضر موت و هكذا، أما سكان المدن فكانت تُعرف بأسماء قبائلها مباشرة مثل

¹¹ابن منظور، لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت، ص615

¹²جواد علي، العرب قبل الإسلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الثانية، ص52، ص53

¹³عبد الله الشحري، ظفار (كتابتها ونقوشها القديمة)، ط1، 1994، ص16

¹⁴ سفر إشعيا، الإصحاح 13: 17، 21

سبأ، حيمير، حمدان وغيرها، أما العرب في المدلول اليوناني والروماني ومنذ (484 ق. م) قصدوا بها البلاد التي شملت الجزيرة العربية وبادية الشام مع اعتقادهم بأنهم بلاد البدو.

ما نريد أن نصبوا إليه من خلال هذا الطرح أن دلالة هذا المصطلح لم تكن تؤدي لمعنى الجنس والقومية، بحسب المفهوم الحالي، وما يؤكد عليه جواد علي، في مؤلفه العرب والعبرانيين أن التوراة لم تذكر العرب في الحديث عن أبناء نوح "سام، حام، يافث"، ولكنها ذكرت أسماء قبائل لاشك في أن أصلها من شبه الجزيرة العربية¹⁵ وهذا ما يؤكد الرأي القائل بأن كلمة العرب لم تكن تعني القومية، وإنما ترادفت مع الأعراب والبدو"، وبهذا فموضوع تتبع تاريخية الكتابة واللغة لا يُشترط فيه الدراسة العرقية، في حين يمكننا تناولها من جانب الانتشار الجغرافي وأصول بداية هذا النشاط الحضاري.

3. دراسة مقارنة بين الخط الظفاري والتيفناغي:

1.3. الخط الظفاري:

يعد هذا الأخير فرعاً من الخط المسند الجنوبي الذي ساد في ممالك اليمن القديم، وقد ازدهرت في منطقة طفار بين القرنين الثامن قبل الميلاد والثاني ميلادي، حيث استخدمت في النقوش الدينية والتجارية والنذرية¹⁶، وتمتاز هذه الكتابة بخطها الزاوي، واعتمادها على النقش الغائر في الحجر الجيري أو الصخر الرملي، وهي كتابة صامتة **Consonantal** ولا تعبر عن الحركات، وتتكون من تسعة وعشرون علامة أساسية، وقد أثبتت الدراسات الميدانية أن الظفاريين طوروا نمطاً محلياً مميزاً من الخط المسند¹⁷، كما تشير الاكتشافات إلى أن انتشار هذا الخط تجاوز حدود اليمن إلى عُمان، وربما إلى الساحل الأفريقي الغربي، ما يرجح وجود تواصل بحري وتجاري عبر البحر العربي والبحر الأحمر. (أنظر الملحق رقم 03).

2.3. الخط التيفناغي:

هو النظام الكتابي الذي استخدمه الطوارق، في الصحراء الكبرى منذ أكثر من ألفي عام، ليمتد إلى شمال إفريقيا تحت مسمى الكتابة الليبية الأمازيغية، وتتكون هذه الأبجدية من ثلاثة وعشرين إلى سبعة وعشرين رمزاً أساسياً وتكتب عمودياً أو أفقياً، ومن اليمين إلى اليسار أو العكس أحياناً، كما تدل النقوش المكتشفة في مواقع الطاسيلي، "آزجر" و"تادارات" و"آكاكوس" على أن التيفناغ كان كتابة شعائرية تستخدم في الطقوس الجنائزية ثم تطورت لاحقاً إلى نظام رمزي اجتماعي ولغوي، حافظ عليه الطوارق حتى اليوم¹⁸، أما من الناحية الشكلية تتميز الرموز التيفناغية بزوايا حادة وخطوط مستقيمة وهو ما يذكر بخصائص الكتابة المستندية الجنوبية، الأمر الذي جعل عدداً من الباحثين يقترحون وجود أصل مشترك أو تأثير مباشر بين المنطقتين، (أنظر الملحق رقم 04).

4. العلاقة التاريخية والأثرية بينهما:

1.4. الاتصالات الحضارية القديمة:

منذ الألفية الأولى قبل الميلاد وما بعدها، شكلت جنوب شبه الجزيرة العربية نقطة تقاطع تجاري وثقافي مهم، نظراً لموقعها الاستراتيجي على البحر الأحمر والمحيط الهندي في المقابل، ونقطة تقاطع بين إفريقيا وشبه الجزيرة العربية، في ظل هذه البيئة نشأت شبكات اتصال تجارية وبشرية سمحت بمرور السلع والأفكار معاً، ويُرجح عدد من المؤرخين أن البحارة العرب الجنوبيين كانت لهم رحلات متكررة إلى سواحل شرق إفريقيا، ومنها إلى الصحراء الكبرى عبر طرق القوافل التجارية القديمة، ولقد نقل هؤلاء أنماطاً ثقافية منها فن النقش والكتابة، ما ساعد على ظهور أشكال

¹⁵ جواد علي، العرب والعبرانيين، ج1، ص629.

¹⁶ العوضي خالد، الكتابة في طفار: دراسة في النقوش المسندية الجنوبية، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2014، ص65.

¹⁷ Jone peter, south Arabia inscriptions and trade networks, cambridge (cup), 2019, p, 142.

¹⁸ أحمد محمد، الكتابات الأمازيغية القديمة، دراسة في الأصول والوظائف، دار القصبة، الجزائر، 2017، ص54.

كتابية متأثرة بالمسند في مناطق غرب البحر الأحمر وشمال إفريقيا بشرقها¹⁹، و ما تجدر الإشارة إليه أن من أهم الدراسات في هذا السياق ما طرحه " The journal of African history"، رغم تركيزه على الصحراء الكبرى، لكنه يعطي خلفية قوية عن شبكات الإتصال الصحراوية التي يمكن مقارنتها مع شبه الجزيرة العربية، وفي ذات الأهمية نجد دراسة The relations sbetween southern Arabia and northen horn of Africa during the last millennium تؤكد وجود روابط واضحة بين المنطقتين في نطاق العلاقات التجارية الثقافية وأن التأثير لم يكن بنسب متساوية أو متزامنة، بل كان متفاوتا حسب الفترة والمنطقة، فمثلا كان التأثير تارة قوي على الشق الإفريقي، و في محطات أخرى كان العكس، وعليه كل التأثيرات الثقافية تبلورت في سياق تفاعلي سواء عبر الطرق البرية أو البحرية.

2.4. الدلائل الأثرية:

تشير الأدلة الأثرية إلى وجود شبكات تواصل تجاري وثقافي بين جنوب الجزيرة العربية وشمال إفريقيا منذ الألف الأول قبل الميلاد، ولقد عثر في مواقع ظفار على خرز وزخارف حجرية، مصدرها الساحل الإفريقي الشرقي، كما اكتشفت في مواقع الطاسيلي أدوات بحرية وصناعات حجرية ذات طابع جنوبي عربي²⁰، كما تظهر تحليلات الكربون المشع أن بعض هذه الأدوات تعود إلى فترات متزامنة مع ازدهار مملكة اليمن (سبأ) القديمة، مما يُرجح فرضية التأثير التبادل الحضاري ويقويها، وأن التيفيناغ نشأ في المجال الأمازيغي الداخلي مع تأثره بعناصر سامية و فينيقية نتيجة الاتصالات البحرية عبر المتوسط²¹، أما **Chaker** فيؤكد أن التيفيناغ تطور داخليا دون تأثير مباشر من الخطوط الشرقية، مستندا في هذا إلى اختلاف البنية الصوتية واتجاه الكتابة الذي غالبا ما يكون من الأسفل إلى الأعلى أو العكس، وهذا بحسب أقدم النقوش، وأن العلاقة بينه وبين خطوط جنوب شبه الجزيرة العربية علاقة موازاة ثقافية وليس اشتقاق لغوي²².

3.4. التحليل الشكلي " Morphographic comparaphic:

أشارت الدراسات المقارنة منها دراسة كامبس إلى وجود تشابه في عدد من الرموز بين المسند الجنوبي والتيفيناغي مثل الحروف المقابلة (ر. س. م. ن. ر) والتي تتخذ أشكالا متقاربة، كما تتقاطع الكتابتان في طريقة النقش على الحجر واستخدام الأدوات المعدنية الحادة⁽²³⁾، لكننا سنحاول التركيز على أهم نقاط التقاطع و الاختلاف لتبيان المقارنة الشكلية ومدى توافقها من الخطين، فالبنسبة لأوجه التشابه فيما يعرف بالأشكال الهندسية، نجد أن كلا الخطين استعمالا خطوطا مستقيمة وأخرى ذات شكل مثلث و حتى النقاط، وأشكالا تشبه السهام، كما أن عدد من الرموز في كلا الخطين تتميز بتمائل محوري أو دوراني، وهي خاصية رمزية مشتركة للكتابات المنقوشة على الصخور خاصة في الكتابة الأمازيغية القديمة²⁴، وهذا ما يعرف بالتمائل عند المختصين "symmetry"، ضف الى هذا خاصية بساطة الترميز، و أن معظم الرموز أحادية الضربة أو ثنائية الضربة، و هو ما يشير الى أن كليهما يعود لفترة ما قبل التاريخ (النقش الصخري)، أما عن أوجه الاختلاف تكمن في القيم الصوتية، فالبنسبة لرموز التيفيناغ هي موثقة نسبيا، في حين غير مكتملة التوثيق في الخط الظفاري حتى بالنسبة لتنظيم النسق الكتابي فالأول لديه نسق أبجدي وحروفه محددة، في حين أن الخط الظفاري يبدو أنه يحمل رموز غير لغوية قد تكون ذات طابع طقسي أكثر بحسب المختصين²⁵، أما عن إتجاه الكتابة فإن التيفيناغ

¹⁹ عبد الله الحسن،التواصل الحضاري بين الجزيرة العربية و شمال افريقيا في العصور القديمة،2008،ص،233

²⁰ Dupont (A), Archaeological connections across the Red sea ,oxford oxbow books,2015,p,203

²¹ Comps,Gabriel,les berbère mémoire et identité ,paris,2000,p,87/ ,les civilisations préhistorique de l'afrique du nord et du sahara ,paris,1980

²² Chaker(s) l,écriture libyque et tfinagh : approche linguistique, alger,1996,p,82

²³ Comps, op cit, p, 88

²⁴ Prass,Manuel de la grammaire touarègue,p33

²⁵ Gland ,Grammaire de la langue berbère,p44

يكتب من اليمين الى اليسار أو عكسه حسب المكان ، أما النموذج الثاني فهو غير محسوم والأغلب أنه قد يكون عموديا أو أفقيا ، في حين يرى البعض الآخر أن الاتجاه من اليمين إلى اليسار مشترك بينهما بحسب أقدم النقوش الأثرية ، (انظر الملحق رقم 05).

و في خضم الدراسات الحديثة في مسألة التحليل الشكلي للكتابات القديمة ، نجد التحليل الطوبولوجي " **Topological Data Analysis** " و هو فرع من الرياضيات يدرس خصائص الأشكال التي تبقى ثابتة تحت تغيرات مرنة و تعتمد على البنية الهيكلية للبيانات ، هذا التطبيق الذي أصبح يستخدم اليوم لاستخلاص معلومات شكلية من بيانات معقدة أو عالية الأبعاد ، و لقد استخدمت هذه التقنية لدراسة اشكال الخط التيفيناغي و الظفاري ، فكانت الخطوة الأولى هو جمع بيانات الحروف لكلا منهما ، لكن المشكلة أنه لم تتوفر مجموعة بيانات رقمية منشورة موحدة لخوارزميات الحروف الظفارية ، لكن محاولات التتبع و الرسم البياني موثقة في الدراسات الرائدة .²⁶

وبعد حساب المسافات عن طريق التمثيل العنقودي و تحليل البيانات أدت خوارزميات التجميع العنقودي و نظرية الرسوم البيانية الى تصور مجموعات الحروف المتشابهة أو المختلفة بين الخطين ، و من توقعات الشكل البنوي فإن الفوارق الطوبولوجية كبيرة مما يشير الى عدم وجود علاقة تطورية مباشرة بينهما ، وأن المدلولات العلمية تقول بأن الخط التيفيناغي يعكس بُنى و جذور هندسية مرتبطة بأبجدية ليبية قديمة و له ترتيبات الزوايا و الأشكال الهندسية لكل رمز ، أما الظفاري يعكس نظاما مختلفا في تكوين الحروف و قريب من أنظمة الكتابات العربية القديمة مع تغيرات موضعية في أشكال **glyphs** و التي نعني بها الشكل المرسوم للحرف كما يظهر فعليا على الحجر أو الورق أو الشاشة ، لأن التحليل الطوبولوجي لا يدرس الحرف كنظام لغوي بل على شكل نقش ، و كملخص للدراسة فإن العلاقة بينهما تقترب ضمن النظام الواحد دون تقاطع محسوس بينهما، كما تشير الى عدم وجود أصول مشتركة واضحة في بنية الأشكال بين النظامين، و حتى مخططات " **persistent homology** " التي تعد جوهر التحليل الطوبولوجي الإستمراري كشف البنية العميقة للأشكال عبر جميع مقاييس التحليل الخاص بكل منهما و الذي أشار الى عدم وجود علاقة تطورية مباشرة²⁷ و هذا ما يدعم آراء الأدبيات اللغوية و التاريخية حول الأصول المختلفة لهما.

4.4. التحليل اللغوي :

أظهرت المقاربة اللغوية أن كلا النظامين صامتان ويعتمدان على أبجدية ساكنة دون حركات، وهو ما يُعرف بالخصائص الصوتية **phonologique Features** ، و أن تفسير الاختلاف في النظام الصوتي يكمن في أن اللغة الظفارية تنتمي إلى العائلة السامية الجنوبية، بينما ترتبط التيفيناغية بمجموعة اللغات الأمازيغية من العائلة الأفرو آسيوية²⁸، وهذا ما يندرج تحت الخصائص الصرفية **Morphology** "ذات البنية الإشتقاقية الثلاثية و الرباعية ، لكن الخط الظفاري له بنية جذرية -وزنية لها علاقة باللغات السبئية و القتبانية و الحميرية ، التي تميل للصوامت دون الحركة"²⁹، ناهيك عن أن الخصائص التركيبية " **syntax** " للخطوط القديمة عادة تعبر عن كلمات معزولة أو جمل قصيرة توفرت في خط التيفيناغ لكن دراسة نقوش ظفار القصيرة كانت صعبة التحليل من الناحية النحوية، و كنتيجة لهذا التحليل يبدو أن التطابق الشكلي بين خط ظفار و التيفيناغ يبدو في أغلبه تشابها هندسيا أكثر منه دليلا على علاقة لغوية مباشرة .

5. تقييمنا للدراسات السابقة:

كما سبقت الإشارة إليه أن هذا الموضوع تناولته الدراسات العلمية، بين مؤيد لفكر الأصل المشترك، وأخرى رافضة لها، فغابرييل كامبس رأى أن التشابه بين الكتبتين لا يتعدى الجانب الشكلي، ولا توجد أدلة لغوية قاطعة على صلة نسبية مباشرة، بينما ذهب العوضي وعبد الله الدرودي، إلى

²⁶ Al-jallad, Dhofari script and recent decipherment insights, south semitic context, 2025

²⁷ Ibid.

²⁸ Salamand (D), comparative studies in Ancient script of Africa and Arabia, 2011, p, 319

²⁹ Robine, les houtes-terres du nord-yemen avant l'Islam, p250

أن وجود رموز متماثلة وتداخلات أثرية يشير إلى تواصل حضاري فعلي بين الطرفين، أما "جونز" فاقترح احتمال وجود مرحلة وسيطة في شرق أفريقيا، أين تم نقل بعض رموز المسند إلى سكان الساحل الإفريقي قبل أن تتطور لاحقا إلى التيفيناغ في باقي أرجاء الصحراء الكبرى ، و يضيف قائلا أن التيفيناغ من أحد أنظمة الكتابة القديمة في شمال أفريقيا ، و أن التشابه بينه و بين الفينيقية غير كاف بالإشتقاق المباشر ، و أن الطوارق هم من احتفظوا بالصيغة الأقرب الى الشكل القديم للخط مقارنة بباقي القبائل الأمازيغية ، وأنه يمثل قيمة رمزية و هوية قوية عندهم³⁰ ، وعليه فإن المقارنة والمقاربة تقتضي النظر فيها، بوصفها تفاعلا حضاريا مفتوحا من الطرفين منذ فترات تاريخية سحيقة ، لا أصلا واحدا مغلقا من جهة، مع الإعتراف بالتأثيرات المتبادلة بينهما عبر التاريخ وتطورها فيما بعد .

خاتمة:

يمكننا القول في ختام هذه الدراسة أن العلاقة بين الكتابة الطفارية والتيفيناغية، ليست مجرد تشابه شكلي بل تعكس تاريخا حافلا من التواصل الحضاري العميق بين جنوب شبه الجزيرة العربية وإفريقيا، وأن المعطيات الأثرية واللغوية تدل على أن طرق التجارة القديمة لعبت دورا أساسيا في انتقال الأفكار والأنظمة الكتابية برموزها، ومع أن غياب الدليل الحاسم يمنع الجزم بأصل مباشر، فإن القرائن المشتركة تفتح آفاقا جديدة للبحث في أغوار تاريخ الكتابة والتبادل الثقافي في عالم الصحراء الكبرى، إذا اعتبرنا أن النشاط الحضاري لهذا النوع من الكتابة هو فن صحراوي بامتياز، ليبقى الحديث عن تاريخية الكتابة الليبية* الأمازيغية في الشمال -بحسب رأيي- أمر علينا أن نأخذ بمعطياته في مسار آخر ، إذا اعتبرنا أن التأثيرات الحضارية المتدفقة إلى شمال إفريقيا اختلفت عما كانت عليه في الجنوب .

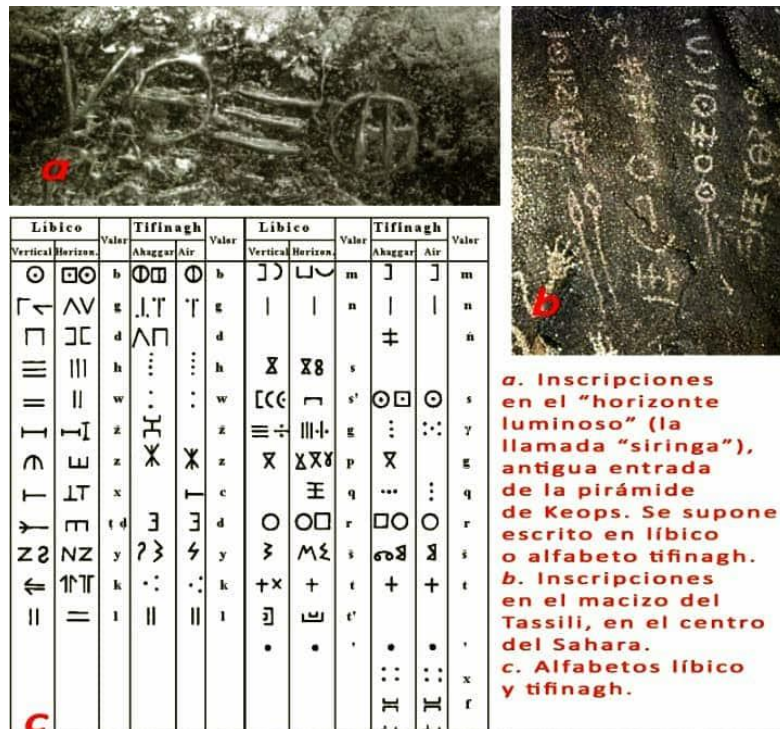
و يبقى موضوع اللغة واللهجات المحلية يحتاج إلى مجهود بحثي شديد الرصانة والدقة، كونه يمثل الهوية بالدرجة الأولى، ولبلوغ أفق البحث العلمي الرحب، علينا أن نتعامل مع موضوع الأمازيغية و لهجاتها و نظام كتابتها، بعيدا عن الخلفية الإيديولوجية للوصول إلى الحقيقة العلمية ذات الطابع الموضوعي المكمل بالطرح المنطقي .

الملاحق :



الملحق رقم (1):نقيشة مسنن من ضريح دوقة

<http://journals.openedition.org/afriques/1203>



الملحق رقم 02: نموذج من خط التيفيناغ على جدار هرم خوفو

<http://www.joseluispejo.com/index.php/hideden-history/350>



الملحق رقم 03: حروف الخط الظفاري

almarsdpress.com (فك رموز نقوش عمرها 200 عام)



الملحق رقم 04: حروف الخط التيفيناغي

<http://www.taneter.org/writing.html>

الملحق رقم (05): جدول يوضح التطابق الشكلي بين حروف الخط الظفاري و التيفيناغي .

سعيد بن عبد الله الدارودي، حول عروبة البربر(مدخل الى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان)، ط1، منشورات فكر، 2012، ص، 355 .